

ملخص البحث

يستهدف المقال استكشاف شعرية الرمز الصوفي في ديوان الحاج محمد بن يلس التلمساني من خلال تحليل طبيعة الرمز وأدواره الجمالية والدلالية في تشكيل التجربة الروحية للشاعر ويشير البحث إلى أن الرمز لدى ابن يلس ليس أداة للإيهام، بل هو لغة إيحائية مكثفة تتيح التعبير عن العمق العرفاني الذي تعجز اللغة المباشرة عن احتوائه يتناول المقال أبرز الرموز المحورية في الديوان ويوضح كيفية تحول العناصر الطبيعية والدينية إلى أدوات لتعبير عن القضايا الروحية، كما يُبرز الدراسة تأثير التراث القرآني والصوفي الكلاسيكي في شعر ابن يلس، مع التطرق إلى تأثيره بكبار أعلام التصوف، وكيفية إعادة تشكيله لهذه الموروثات بما يتلاءم مع تجربته الخاصة. ويخلص المقال إلى أن الرمز عند ابن يلس ليس مجرد زخرفة بل أداة معرفية عميقة تمنح الديوان بعداً روحانياً وتأملياً مميزاً، حيث تجمع لغته التصوفية بين نقاء الرؤية ودفء العاطفة بأسلوب ينضج بالجمال والعمق. كلمات مفتاحية: الرمز؛ الشعرية؛ التصوف؛ محمد بن يلس التلمساني؛ التجربة الصوفية؛ الرمز الصوفي.

ABSTRACT:

This article explores the poetics of Sufi symbolism in the Diwan of al-Hajj Muhammad ibn Yallas al-Tilimsani by analyzing the nature of the symbol and its aesthetic and semantic roles in shaping the poet's spiritual experience. The research indicates that for Ibn Yallas, the symbol is not a tool for obscurity, but rather a concentrated, suggestive language that allows for the expression of a mystical depth that direct language cannot contain. The article examines the most prominent symbols in the Diwan and explains how natural and religious elements are transformed into tools for expressing spiritual themes. The study also highlights the influence of classical Quranic and Sufi traditions on Ibn Yallas's poetry, addressing his influence by prominent Sufi figures and how he reshaped these traditions to suit his own experience. The article concludes that for Ibn Yallas, the symbol is not merely ornamentation but a profound cognitive tool that imbues the Diwan with a distinctive spiritual and contemplative dimension. His Sufi language combines purity of vision with warmth of emotion in a style that exudes beauty and depth.

Keywords: Symbolism; Poetics; Sufism; Muhammad ibn Yallas al-Tilimsani; Sufi experience; Sufi symbolism.

1. مقدمة:

يُعدُّ الرمز الصوفي أحد العناصر الجمالية والمعرفية البارزة في الشعر الصوفي، حيث يُستخدم كوسيلة تعبير تبتعد عن حدود اللغة المباشرة لتفتح آفاقاً واسعة من الدلالات العميقة التي تعكس التجربة الروحية والذوق الفني للمبدع، من خلال هذا الأسلوب يسعى الشاعر إلى استكشاف عالم داخلي تتداخل فيه مشاعر الوجد والنقاء والمعرفة، ليصوغ رؤيته للكون والوجود بلغة غامضة تُضفي على النص ما يُثير التأمل أكثر مما يُفصح عنه، وتُلَمَّح بدلاً من أن تُعبر بوضوح، وفي هذا الإطار، يُعد ديوان الحاج محمد بن يلس التلمساني نموذجاً متميزاً للشعر الصوفي الجزائري في العصر الحديث، إذ يتسم بغناه الرمزي وتنوع معانيه إضافة إلى عمق روحاني ينبع من تراث الصوفية في منطقة المغرب العربي وتراث العرب عمومًا.

يتبدّى في قراءة شعر الحاج بن يلس حضور لافت لمجموعة من الرموز التي تحمل طابعاً صوفياً عميقاً، مثل رموز النور، والبحر، والخمر، والطير، والليل، والشمس، والسفر الروحي. هذه الرموز تفتح على شبكة واسعة من الإحياءات التي تُشكِّل التجربة الروحية والعرفنية للشاعر، فالرمز عنده ليس مجرد أداة زينة بل هو عنصر جوهري يعتمد عليه في تحديد رؤيته للحقائق الوجودية، ويتحوّل إلى أداة للتعبير عن تجليات مثل الفناء، والشوق، والوصال، والمكاشفة من هذا المؤدّي انبثقت دراستنا هذه من إشكالية رئيسة تتبلور حول تساؤلين رئيسيين: كيف ساهم الرمز الصوفي في بناء شعرية ديوان الحاج محمد بن يلس التلمساني؟ وما هي الوظائف التي أداها سواء من حيث الجمالية والدلالة أم من حيث التجربة الصوفية؟

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف جمالية الرمز الصوفي في ديوان الحاج محمد بن يلس التلمساني عبر تحليل أهم الرموز التي شكلت محور نصوصه، كما تهدف إلى استبيان وظائفها الدلالية والجمالية، وتسليط الضوء على علاقتها بالبنية الروحية للتجربة الشعرية. بالإضافة إلى ذلك تركز الدراسة على كيفية تفاعل الرمز في تشكيل الصورة الشعرية وبناء الإيقاع الداخلي للنص، مما يمنحه عمقاً تأويلياً يميز الخطاب الصوفي في شعره.

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

2. الرمز الصوفي

1.2 الرمز لغة:

ورد لفظ الرمز في العديد من المعاجم اللغوية بهدة معان منها قول الزمخشري (538هـ): "دخلت عليهم فتغامزوا وترامزوا" (الزمخشري، صفحة 385)، يرى الزمخشري أثناء دخوله على جماعة أن الإشارة تكون عن طريق الشفتين والحاجبين، وقال الطبري (310هـ): "وكان يكلم الأبطال رمزا" (شوكاني، 2005، صفحة 122) فالرمز عند الطبري ما خفي من الكلام واضمر، وورد في لسان العرب لابن منظور (711هـ): "الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشففتين والفم، والرمز في اللغة كل ما يبان بلفظ" (منظور) فالرمز عند ابن منظور كل ما يشار إليه بغير الكلام عن طريق الحواس كالإيماء بالعينين أو الشفتين أو الحاجبين، من هذه التعريفات اللغوية نستشف أن الرمز يستخدم في غير الكلام ليبين عن طلب أو حاجة أو موقف معيّن دون اللجوء إلى الكلام من سماته الإخفاء والكتمان.

2.2 الرمز اصطلاحا

الرمز في اصطلاح الأدباء هو "الإيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى اللغة على أدائها في دلالتها الوضعية" (هلال، 1983، صفحة 398) نستشف من هذا القول أن الرمز يتبدى في التعبير اللامباشر عن خوالج النفس التي تعجز اللغة عن التعبير عنها وترجمتها فيلجأ الشاعر أو الديب إلى توظيف الرمز في هذه الحال، فهو "كل ما يحل محل شئ آخر في الدلالة عليه لا بطريق المطابقة التامة، وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها وعادة يكون الرمز بهذا المعنى ملموسا يحل محل المجرد" (المهندس، 1984، صفحة 81)، من هذا المعطى يتبدى أن الرمز كل ما حل محل اللغة المباشرة أو التعبير العادي فبدل استخدام الأصوات والعبارات للتعبير عن موقف معين يلجأ الأديب إلى توظيف نوع من الرموز التي تنوب عن اللغة المباشرة وتؤدي وظيفتها وإن لم يكن بشكل مطابق تماما، فكل ما لم يعبر عنه باللغة المباشرة يكون إيحاء وإشارة عن طريق الرمز باستخدام الحواس كالشففتين والعينين والحاجبين وملامح الوجه بصفة عامة.

3.2 الرمز الصوفي:

الرمز في التصوف "طريقة من طرق التعبير يحاول بواسطتها الصوفية محاكاة رؤاهم ونقل تصوّراتهم عن المجهول والكون والإنسان، ووصف العلاقة بين الإنسان والله والعلاقة بين الإنسان والكون" (ضحى، 2007، صفحة 106) فالتجربة الصوفية اعتمدت الرمز ووضعت لنفسها قاموسا من الرموز لا يفقهه إلا من اغترف من بحر التصوف وذاق طعمه، كما تتباين رؤية الشاعر الصوفي عن رؤية الشاعر العادي للعالم، إذ يتأثر الشاعر العادي بالعالم الخارجي ويؤمن بوجوده ويتمسك به خلافا

للشاعر الصوفي الذي يعتزل هذا العالم الخارجي وينقطع عنه حتى يتسنى له الولوج إلى عالمه الخاص والآنزواء فيه بنفسه.

يعتمد الصوفية الرمز الصوفي في نظرتها المختلفة للعالم عكس رؤية الشاعر العادي فرغم أنّ هدفهما واحد إلا أنّ لكل واحد منهما طريقته الخاصة إذ ينطلق الشاعر الصوفي من نفسه وينأى عن الخلق في حين ينطلق الشاعر العادي من الواقع، وبتعبير آخر فإن موضوع الشاعر الصوفي علاقته بالخالق بعيدا عن الخلق أما الشاعر العادي فمواضيعه مستقاة من الواقع المعيش، يستقي الصوفي رموزه من الطبيعة، والأمكنة والأزمنة، والشخص، وهذا ما يزيده ثراء واتساعا وتنوعا(خلف، 2006، صفحة 25).

فالرمز عند الصوفية يتجاذبه اتجاهان اتجاه ظاهر وآخر باطن يجمع بينهما تساق وانتظام، إذ يختص باطن اللغة عند أهل التصوف بالأذواق والحقائق التي لا يمكن أن تستقيم إلاّ مع ظاهر ما جاء به الشرع ونصت عليه تقاليده، فالرمز عندهم معنى مضمر خفي كامن في طيّات الكلام الظاهر لا يطاله إلاّ أهل التصوف وفي هذا المضمار يقول الطوسي: "الرمز معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله"(الطوسي، 1960، صفحة 414)

2.3 الشعرية الصوفية:

التجربة الشعرية تجربة فنية تهتم بالانفعال الشعري الذي تولّده الاستجابة للدوافع التي أثارها الشاعر في قصيدته الشعرية، أما مكونات هذه التجربة وخصائصها فهو موضوع اللغة الشعرية(الباري، صفحة 61)، والتجربة الشعرية الصوفية: هي نظامٌ فنيّ جمالي يلجأ إليه المتصوفة للتعبير عن تجاربهم الروحية وأحاسيسهم الوجدانية. موظفين لغة رمزية ثرية وإشارات مليئة بالدلالات التي تصف معاني دقيقة ولطيفة تعجز الكلمات المباشرة عن إيصالها، تظهر هذه الشعرية في النصوص النثرية والشعرية إذ يلتقي الخيال بالروحانية وتتجاوز اللغة حدود المألوف لتصور حالات الشهود، الفناء، المحبة الإلهية، والاتحاد الرمزي بين العاشق، من ملامحها الرمزية والإيحائية.

3. نماذج شعرية الرمزي في ديوان الحاج محمد بن يلس التلمساني:

1.3. التعريف بالشيخ الصوفي سيدي محمد بن يلس التلمساني:

هو العارف بالله الولي الصالح سيدي محمد بن هلال بن بلحسن بن الحاج علي بن محمد يلس شاوش إمام وشاعر ولد عام 1271هـ/1855م بمدينة تلمسان العريقة، توفي والده وعمره خمس سنوات رعاه عمه الحاج محمد، تلقى تعليمه في مسجد سيدي بومدين ومسجد تلمسان الكبير، أتم حفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات، تلقى علوم الفقه والنحو والتفسير عن شيخه سيدي أحمد بن محمد الدكالي، كما تعلّم على يد الشيخ المربي أحمد بن عبد الرحمن الهبري صاحب زاوية تاغيت، أقام

زاويته الخاصة بتلمسان والتي عرفت باسم زاوية رحمة الله كان يعلم فيها الفقه والتصوف والأذكار على الطريقة الشاذلية الدرقاوية، فكانت مدرسة للصغار والكبار، كما كان أول من أدخل تعليم النساء بتلمسان إذ أسس بزاويته مدرسة لتعليم الفتيات والنساء (حسن، صفحة 248)

هاجر الشيخ إلى الشام عام 1929 هـ هربا من قانون التجنيد الاجباري الذي فرضه الاحتلال مستخلفا وراءه سيدي محمد بن عودة بن الحاج محمد برصالي وصل إلى الشام يوم الثالث عشر من أكتوبر 1911 م، اشتغل بها واعظا خطيبا وإماما مدرسا، وافته المنية عام 1927 م عن عمر ناهز 73 عاما دفن بمقبرة باب الصغير قرب ضريح بلال الحبشي رضي الله عنه (حسن، صفحة 249).

2.3. رموز التجربة الروحية في ديوانه:

وظّف العارف بالله والشاعر الحاج محمد بن يلس رموزا عديدة في ديوانه كرمز النور، والخمرة، والبحر، والطريق، زالطيور، وفيما يأتي بيان لتجلي هذه الرموز في ديوانه وإبراز لإحياءات هذه الرموز التي وظّفها في شعره.

1.2.3. رمز النور: يوحى رمز النور عند أهل التصوف بالتجلي الالهي ونقاء القلب وصفائه وكشف الحجب، وقد وظّف بن يلس النور في ديوانه تعبيرا عن البصيرة وأنّ النور من نتائج التربية الروحية، والنور عند دلالة على طهر النفس ونقائها وصلاح الباطن، ومن مواطن توظيفه لرمز النور قوله (مصطفى، صفحة 13):

فظه نور نور الحق والباطل قل قد زهق

يفيد رمز النور في هذا البيت إلى تغلب الحق في قلب المريد السالك بعد مكابدة طويلة مع الباطل وصراع معه، وتجلي النور يعني بروز حقيقة التوحيد للمريد وكسر قيود الغفلة وفوز الخير على الشر بداخله، فرمز النور في هذا البيت يفيد تجلي الحقيقة الإلهية، كما أنّ رمز النور يعبر عن تغلب المعرفة على الجهل ووصول المريد السالك إلى المعرفة الباطنية التي تمحو بمجيئها كلّ ارتياب وتردد، ومن دلالة رمز النور أيضا في هذا البيت الهداية ومعرفة طريق الحق والخروج من ظلمة النفس التي تلحق الإنسان بسبب انقياده وراء نزواته وشهواته، كما نستشف في هذا البيت أنه اقتباس من الآية القرآنية الكريمة التي قال فيها ربنا عزوجل: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾، ففي هذا البيت يوحى رمز النور بتبدد ظلام الباطل وتلاشي كل ما يعارض الحق ويمنعه من البزوغ والشروق.

تجلى في هذا الرمز الصورة الشعرية النورانية في تعبير الشيخ المربي العارف بالله عن تبدد الظلام أمام نور الحق الساطع، فيقابل الشيخ بين النور والحق، وبين الظلام والباطل، إذ تضفي هذه المقابلة على الصورة الشعرية نوعا من الدينامية والحركة والعمق الروحي.

2.2.3. رمز الخمر: يعبر رمز الخمر عند المتصوفة عن الحب الإلهي فالسكر عندهم يوحى بغياب الوعي في الحضرة الإلهية، وقد وظّف الحاج بن يلس رمز الخمر في ديوانه في الكثير من المواضع منها قوله في وصف سيّد الخلق نبينا صلى الله عليه وسلم (مصطفى، صفحة 12):

واسقني الخمر المختوم *** من بحر طه المعصوم.

نستشف من هذا البيت أنّ رمز الخمر يوحى إلى أن الشيخ الحاج بن يلس يطلب الأنوار المحمدية ويسعى إلى التّهل من فيض أسرارهِ ونبع محبّته وهذا ما يؤكّده الشطر الثاني من هذا البيت إذ يريد الشيخ بن يلس أن يشرب من بحر محبة النبي صلى الله عليه وسلم ويسقى من محبته ورضاه، فشبه الشيخ ذوبان عقله في محبة النبي العدنان عليه صلوات الرحمن بحالة السكر التي يفقد فيها المغمور عقله ويغيب فيها وعيه، وأي نشوة تفوق نشوة حب طه المختار، فالشراب المختوم في هذا البيت يرمز إلى شراب خاص بأهل الاصطفاء لا يتأتى لأي كان، إذ إنّ هذه الخمر ليست حسية بل هي نبع عرفاني وكشف رباني أو نور يقذفه الحق سبحانه وتعالى في قلب المريد السالك دون واسطة.

كما ترمز الخمر في هذا البيت إلى الحضرة المحمدية في قول الشيخ: "من بحر طه المعصوم" فيشير الشيخ إلى أنّ هذا الذوق ونشوة السكر تأتي من الحضرة المحمدية التي هي مكن الأسرار ومنبع الأنوار عند أقطاب التصوف.

ويقول أيضا ابن يلس موظفا رمز الخمر (مصطفى، صفحة 14):

سقاني حبيبي من خمر القديم *** فزال احتجابي وصرت نديم

يعبر العارف بالله الحاج بن يلس في هذا البيت من خلال توظيفه لرمز الخمر عن حالة سكر معنوي في رحاب الحضرة الإلهية، إذ عبّر بها عن المعرفة اللّدية فقوله: "الخمر القديم" تعبير منه وإشارة إلى أنّ هذا الفيض الروحي الذي يعيشه وهذه النشوة العارمة التي تعتريه قديمة قدم الأزل، فيشير بن يلس إلى أنّ هذا العلم اللدني الأزلي منسوب إلى العلم الإلهي السابق للخلق فمعنى القديم في هذا البيت هو الخالق سبحانه وتعالى، ويقصد من توظيفه لرمز الخمر هنا الحقيقة الأزلية.

كما ترمز الخمر في هذا البيت إلى الفتح والكشف وهما مصطلحان صوفيّان يفيدان انفتاح المشاهدة القلبية ورفع الحجب في طريق الأولياء الصالحين، فقوله: "فزال احتجابي" دلالة على فتح باب المشاهدة أمام هذا العارف بالله ورفع عنه ستار الظلمة ودخول الحضرة الإلهية حتى يقترب أكثر منها ويتمدج فيها كلّما زاد إقباله على الحق جلّ في علاه إلى أن يصل إلى مرتبة المصاحبة في قوله: "وصرت نديم" إذ التّديم عند أهل التصوف القرب من الحضرة الإلهية وعدم الانقطاع عنها بالمداومة على الأوراد والعبادات، فالخمر عند بن يلس تدل على القرب، المحبة الإلهية، الكشف، الأنس بالله، المعرفة الذوقية.

ولا يمكن أن يتأتى هذا المعنى إلا لمن اغترف من نبع التصوف وذاق حلاوة الأنس بالله والقرب منه سبحانه وتعالى إذ يكون العارف بالله السالك لطريق الحق في نشوة تضاهي نشوة السكر وتفوقه لذا يوظف أقطاب الصوفية رمز الحمر في تعبيرهم عن حبهم لله سبحانه وتعالى ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

3.2.3. رموز الطَّبِيعَة: نجد في ديوان الحاج بن يلس العديد من رموز الطَّبِيعَة التي وظّفها تعبيرا عن تجربته الصّوفية مستخدما إياها مرآة عاكسة للحضرة الإلهية، فيقول مستخدما رمز الشمس (مصطفى، صفحة 20):

فحسنهم مثل الصباح *** وهم شمسو العالمين

وظّف ابن يلس رمز الشمس في هذا البيت دلالة على النّور الإلهي الذي يشعّ في القلوب فيصف في قوله: "هم شمسو العالمين" أولياء الله أهل الصفاء بأنهم منبع النور الروحي الذي يضيئون بواسطته طريقة الحقيقة للسالكين وشبه نورهم الذي يبثونه في قلوب العباد بنور الشمس الذي يضيئ الكون، فرمز الشمس في هذا القول يوحى بنور الهداية وسطوع الحقيقة وتبدد ظلام الجهل والظلام الروحي.

كما يشير رمز الشمس في هذا المقام إلى شدة جمالهم الروحي المبدد لظلمة النفوس، فهو يشير إلى أنّ أهل التصوف من سالكين ومريدين هم قطب رحي المعرفة الروحية التي تكون جسر يعبر منهم غيرهم من الخلق إلى هذه المعرفة ويهدونهم إليها بصفاتهم أقطابا لها، فرمز الشمس في هذا البيت يوحى إلى اكتمال النور الإلهي في قلبه وسطوع شمس الحق فيه وتغلبها على الظلمة الموجودة في داخله.

ويوظف الحاج بن يلس رمز البحر الذي يعد بعدا صوفيا عميقا يتخطّى المعنى الحسي معبرا عن دلالات روحية كعدم التناهي والفيض الإلهي، وفي هذا الرمز يقول في ديوانه:

وفنى في بحر المعاني *** من الجهات أجمعين

يدل رمز البحر في هذا البيت في عبارة: "بحر المعاني" على عالم المعرفة الإلهية اللامتناهي والذي يستحيل لبشر الإمام به، كما يعبرّ هذا الرمز أيضا على الذوبان في الحضرة الإلهية فقوله: "وفنى" دلالة على الفناء في التجربة الصوفية أي الابتعاد عن الخلق طلبا لحضرة الحق، فالبحر في هذا البيت يرمز إلى عدم محدودية العلم الإلهي اللدني وكل من صفا عن الخلق ودنا من الحق يغترف من هذا البحر ويشرب من فيضه.

كما يشير رمز البحر في هذا البيت إلى الحقيقة المحمدية فشبه الشيخ الحاج بن يلس الأنوار المحمدية وحقيقته صلّى الله عليه وسلم بالبحر كلما تقدّم فيها السالك كلما تعمق وغاص في أغوارها وهذه كناية منه على أنّ الحقيقة المحمدية غير محدودة لا يمكن افلامام بها ولو أفنى المريد السالك في طلبها عمرا، من هذا المؤدّى نستشف أنّ رمز البحر في هذا البيت يدلّ على المعرفة اللدنية اللامتناهية،

والحب الإلهي العميق للشيخ، وفنائه الروحي الذي يتخطى الكنه المحسوس ليدخل في الحقيقة الباطنية ويفنى فيها.

من هذا المؤدى تتبدى الصورة الشعرية الكونية في ديوان الحاج بن يلس من خلال توظيفه للشمس والبحر والكواكب، فقد وظّف الشيخ الكون مستخدماً إياه في تعظيم المقامات الروحية وتصويراً لعظمة الذات اللإلهية، فالشمس عنده ترمز إلى المعرفة الربانية، والبحر رمز الحقيقة المحمدية وفيض العلم النبوي

إنّ المتمعن في ديوان الشيخ المربي العارف بالله محمد بن الحاج يلس التلمساني يستشفّ أنه قد وظّف الرّمز بكثرة فنلاحظ حضور رمز الخمر والنور والشمس والبحر والورد والليل وغيرها من الرموز بكثرة في ديوانه وهذا ينمّ عن التجربة الشعرية الصوفية الكبيرة والواسعة للشيخ والشاعر ابن يلس التلمساني وذوقه الفني وأنه على دراية واطلاع واسعين بالتراث الأدبي العربي إذ نجد هذه الرموز مستقاة من الشعر الجاهلي والبيئة العربية التراثية.

إضافة إلى هذه الرموز السالفة الذكر نستشف حضور الرمز الصوفي التراثي في ديوان الحاج بن يلس من خلال استحضاره لأعلام التصوف ورواده كرابعة العدوية، والشيخ محي الدين بن العربي، والشيخ البوزيدي، والخضر عليه السلام، فعمد إلى إقامة شبكة رمزية تتخطى المباشر لتصل إلى الحضرة الربانية والحقيقة المحمدية، ومن كلامه عن أقطاب الصوفية قوله (مصطفى، صفحة 09):

يا من تريد الدّوا *** وطريقة الخلوة

ادخل حمى درقاوا *** هم أهل التربية

سندها العزاوي *** والبوزيدي يا رواوي

يشير ابن يلس في هذه الأبيات إلى أن السالك المريد إذا أراد دخول الحضرة الربانية التي هي دواء النفس عليه أن يسلك سبيل أهل العرفان والحقيقة من أقصاف الصوفية من مشايخ الطريقة الدرقاوية مشيراً إلى الشيخ العزاوي والبوزيدي بغية إقامة شبكة رمزية تتخطى الخطاب المباشر والعادي إلى خطاب صوفي عرفاني

4. خاتمة:

في نهاية هذا المقال يظهر بوضوح أن تجربة هذا الشاعر تتسم ببناء رمزي محكم يرتكز على عمق روحي ومعرفي، مستندة إلى رؤية صوفية تحول اللغة من أداة للتعبير إلى وسيلة للكشف والتجلي. جاء التحليل ليعبر عن الرموز في شعر ابن يلس، مثل الخمر والنور والبحر والطير والليل، ليست مجرد تزيينات لفظية وإنما مفاتيح دلالية تقود القارئ إلى أبعاد أعمق تتجاوز المعاني السطحية إلى جوهر

التجربة الروحية، حيث تتكامل الذات مع الحقيقة، ويُمنج الحس بالمعرفة. كما أظهر البحث أن شاعرية الرمز لدى ابن يلس قائمة على ثلاث مستويات مترابطة: المستوى الجمالي، الذي تجلت فيه لغة صافية وإيقاع متناغم، والمستوى الدلالي، الذي ينقل النص نحو معانٍ إيحائية متسامية، والمستوى الروحي، الذي يدعو القارئ إلى الدخول في فضاء التجربة العرفانية. وبهذا الشكل تصبح القصيدة عنده انعكاسًا للوجود ومسارًا للتروقي الروحي، وجسرًا يصل بين المحسوس والمعنوي. تناول دراسة الرمز في هذا الديوان يبين في نهاية المطاف أن ابن يلس يتمتع بقدرة استثنائية على تحويل التجربة الصوفية إلى لغة حيوية ونص شعري فريد يعزز غنى التراث الصوفي الجزائري والعربي على حد سواء. بذلك يصبح ديوان الحاج محمد بن يلس أكثر من مجموعة قصائد شعرية؛ بل يشكل رحلة بحث وتأمل تعيد بناء العلاقة بين الشاعر والعالم وتكرس مكانته كشاعر صوفي يمتلك رؤية مبدعة وقدرة فائقة على إنتاج رمز يحمل أبعادًا مفتوحة للتأويل بلا حدود.

المصادر والمراجع:

1. الزمخشري. (بلا تاريخ). أساس البلاغة (المجلد ج1). بيروت، لبنان: دار صادر.
2. الطبري تح: أحمد إسماعيل شوكاني. (2005). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المجلد ج1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
3. الطوسي. (1960). اللمع. القاهرة.
4. العساف عبد الله خلف. (2006). الرمز في الشعر السوري. دمشق: دار القلم.
5. بن عمر حسن. (بلا تاريخ). أسلوب الرسائل الأدبية عند الامام الشاعر سيدي الحاج محمد بن يلس. مجلة أونترولوجيا الأديان.
6. بن يلس مصطفى. (بلا تاريخ). ديوان الحاج محمد بن يلس التلمساني (المجلد ط2). تلمسان: مطبعة ابن خلدون.
7. غنيهي هلال. (1983). الأدب المقارن (المجلد ط1). بيروت، لبنان: دار العودة.
8. قباني عبد الباري. (بلا تاريخ). التجربة الشعرية والابداع اللغوي. القاهرة: دار الكتاب الحديث.
9. لسان العرب بيروت لبنان دار صادر
10. مجدي وهبة وكامل المهندس. (1984). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (المجلد ط2). بيروت: مكتبة لبنان.
11. يونس ضحى. (2007). القضايا النقدية في النثر الصوفي. مجلة إتحاد الكتاب العرب.